

“ من خبرة الإبداع الشخصية ” مقتطفات من كتاب: “ حركية الوجود وتجلياته الإبداعي ”



نشرة " الإنسان 2018/11/17

السنة الثمانية عشرة - العدد: 4095

بروفيسور يحيى الراوي - الطب النفسي، مصر

yehiatrakhaw@hotmail.com

مقدمة:

امتدادا لما أشرنا إليه سابقا، وبإصرار العناد والأمل: تم تخصيص اليوم "السبت" لمقتطفات من كتاباتي السابقة التي لها علاقة دالة بالفروض التي تعتبر إرهابات أو أساس هذا الفكر الدائم النمو والتطوير،

والمقتطف اليوم هو "شهادة شخصية" من اجتهاد العبد لله (شخصي)

5 - 2 - 4

من خبرة الإبداع الشخصية (1)

"شهادة" خاصة أعرج إليها متحرجا كالعادة، لكنني أعدل عن الحرج تأكيدا للمنهج الفيونمينولوجي، عارضا جانبا من خبرتي الشخصية في محاولات الإبداع، فأختار هذه المرة عملا لا هو بالقصة ولا هو بالشعر (2) بل هو مزيج من أدب الرحلات والسيرة الذاتية، فهو يحمل بين طياته من التعرية الذاتية ومحاولات الغوص التلقائي ما شجعتني على مراجعته، ضبطتني وقد تناولت موقفي الشخصي من هذا التنشيط المكدي، وطبيعة إحياء المعلومات الكامنة بما قد يفيد في إيضاح بعض جوانب موضوعنا هذا. ذلك لأنه يبدو أنني اقتربت في بعض مواقع هذا العمل - دون قصد مسبق - من كشف علاقتي بالكتابة، ومن حالة تهيئ للاستعادة المنشطة لما هو "ليس كذلك". ثم إن هذا العمل قد علمني كيف أحفظ بالمساحة نفسها حية قابلة للتنشيط برغم تباعد زيارتي لها، فقد كُتبت على مدد متباعدة ومتقطعة (أكثر من عامين)، فاكتشفت أن هذا المستوى الكلي للإدراك - حتى لخبرة محدودة في وقت بذاته - (زمن الرحلة) يظل حيا، وفي المتناول، ما ظل الطريق إليه ممكنا، وماظلت القدرة على التنشيط واردة، بغض النظر عن توقيت رصد الخبرة الأولى، ومجاوزا تفصيلات الخارج المحددة.

أورد هنا بعض ما سجلت -دون سابق قصد- في أكثر من موقع بما قد يُظهر:

(أ) الفرق بين مستويات المعرفة في مجال التذكر،

...على أنني لأعني
بالذاكرة ذلك التذكر
الراوي، بقدر ما أعني
المعايشة، فالذاكرة أمرها
محبب أشد العجب، وكل
الحديث العلمي عن طبيعتها
لابد أن يتوارى بجوار
حقيقة حدثها، وأما حبيب
مفاجأتها.

الذاكرة كما يدرسها العلماء
هي ذاكرة فورية، أو ذاكرة
قريبة، أو ذاكرة بعيدة... إلخ،
وكلها تعتمد على حفظ
معلومات معينة ثم استرجاعها
بتوقيت معين وقدر معين، أما
الذاكرة التي تبرز في الظلام،
والذاكرة التي تنقض من
شاهق، والذاكرة التي تتهادى
في تراخ، والذاكرة هي سباق
التتابع، والذاكرة التي تتوهم
رائحتها حقيقة وفعل، فهذه
ظواهرات ليست هي متناول منهج
العلم المتواضع

(ب) طبيعة إحياء المعاشية بالصياغة، من ناحية أخرى،

(ج) خبرة تحريك التنشيط المكدي (3) دون إخراجها ناتجا مباشرا مشكلا.

أ- المقتطف الأول: "مستويات المعرفة وتجليات الذاكرة"

"...على أنى لأعنى بالذاكرة ذلك التذكر الراوى، بقدر ما أعنى المعاشية، فالذاكرة أمرها عجيب أشد العجب، وكل الحديث العلمى عن طبيعتها لا بد أن يتوارى بجوار حقيقة حدتها، وأعاجيب مفاجأتها، وحيوية روائحها. ذلك أن الذاكرة كما يدرسها العلماء هي ذاكرة فورية، أو ذاكرة قريبة، أو ذاكرة بعيدة... إلخ، وكلها تعتمد على حفظ معلومات معينة ثم استرجاعها بتوقيت معين وقدر معين، أما الذاكرة التي تبرز في الظلام، والذاكرة التي تنقض من شاطئ، والذاكرة التي تنهادى في تراج، والذاكرة في سباق التتابع، والذاكرة التي تفوح رائحتها حقيقة وفعلا، فهذه ظاهرات ليست في متناول منهج العلم المتواضع (4)

فلاحظ هنا أن الإبداع في علاقته مع ماهو ذاكرة، لا يسترجم بل يتلقى التنشيط المثار.. وهو - لكونه في حالة استعداد رحب- يسمح بتواصل مستويات المعرفة. فهذا التلقى من "البرق الخاطف" (قارن نزار) أو الرعب من الانقراض: "تنقض من شاطئ"، ثم ما يعقب هذا وذلك من السماح بأن تنهادى في تراج، ثم "مواكبة" طلاقة المستويات معا. ثم سألستها في سباق التتابع (أكثر من فريق)، كل ذلك يجعل هذا التهيؤ المتلقى الضام للرحب معا، هو فعل الإبداع، فهو تلق فاعل للتنشيط المثار، وفي الوقت نفسه هو السماح المنتظر للمفاجأت (باختياره!)، إذ هو مصدرها نفسه، ثم هو الإحياء لحركية تجسد الموجودات عيانا دون تجريد (لاحظ مثلا تعبير: الذاكرة التي تفوح رائحتها حقيقة وفعلا).

ب - المقتطف الثاني: "إحياء اللحظة وتجديد المعاشية" وصف بدء الكتابة لمرحلة من الرحلة بعد انتهائها بشهور في مهى ملحق بمخيم قرب فينيسيا:

"لا.. ليست الذاكرة.. نعم، بل إنى أشعر أنى أقوم بـ "إحياء اللحظة".. هي عملية إحياء أعيشها كلما أمسكت القلم.. فكلما جلست لأكتب.. سافرت إليها من جديد، فعشتها بكل التفاصيل والهمس والاستطراد، والرسائل ذات المعنى، والوعود، والتنشيط، والإحباط، والمراجعة. وعلمت من ذلك أن أقل القليل من العالم الخارجى يكفينى.. فإلى ثقب الإبرة نطلق منه سراح الكمون (5)..."

ثم أختتم الفصل (السادس) نفسه - فى نفس العمل - قائلا:

"..وقبل أن أنسحب تماما، لأنسى أن أترك علامة مميزة بجوار ثقب الإبرة فى مخزون وجدانى، ذلك بعد أن لصقتُ عليه شمعا قابلا للذوبان، لعله يستجيب لى تحت حرارة الاستدعاء حين أعود إليه أسحب منه الخيط من جديد (6) "

فى هذا المقتطف نرى أن الإدراك الكلى الغائر هو فى المتناول - بإرادة الإبداع - بشكل أو بآخر. كما نرى أن فعل الإرادة هنا يسهم فى تنشيط اللحظة، بوصفها كيانا لم ينقض فى زمان مضى، بل هي كيان قائم فى مكان ما قابل للتناول، ومن ثم فهو جاهز لمعاودة التنشيط فالتلقى فالسماع فالمفاجآت فالمواكبة فالتضفر.. إلخ، فتعبير "تطلق منه سراح الكمون المتفجر" قد يؤكد ما ذهبنا إليه من دور التوجه الواعى فى إطار من السماح المرن، ومع طواعية الأداة المفاهيمية القادرة على إكمال تضفر الجدل بين مستويات المعرفة، وأخيرا، فإن الحرص على مسامية مخزون "الوجدان" وضمان السماح بالعودة هو الذى يؤكد التماسك من ناحية، واستطاعة التناول من ناحية أخرى، على نحو قد نستنتج منه

أن الإبداع فى علاقته مع ماهو ذاكرة، لا يسترجم بل يتلقى التنشيط المثار

... نعم، بل إنى أشعر أنى أقوم بـ "إحياء اللحظة".. هي عملية إحياء أعيشها كلما أمسكت القلم.. فكلما جلست لأكتب.. سافرت إليها من جديد، فعشتها بكل التفاصيل والهمس والاستطراد، والرسائل ذات المعنى، والوعود، والتنشيط، والإحباط، والمراجعة

أن فعل الإرادة هنا يسهم فى تنشيط اللحظة، بوصفها كيانا لم ينقض فى زمان مضى، بل هي كيان قائم فى مكان ما قابل للتناول، ومن ثم فهو جاهز لمعاودة التنشيط فالتلقى فالسماع فالمفاجآت فالمواكبة فالتضفر.. إلخ

اقترب بعض مستويات المعرفة من بعضها، وهو مايسهل الحركة، ويواصل الحوار فالجدل.

حين عدت إلى قراءة هذا العمل قرب تمامه. ولم أكن أتابع ما ينشر منه أولاً بأول، حتى أنني سمحت لنفسى باحتمال التكرار - أقول حين عدت إليه - إذا بي أقرؤه وكأنه كتب في جلسة واحدة (مع أنه كتب على مدى عامين كما ذكرت، وبالتحديد لمدة بضعة أيام كل ثلاثة أشهر)، فعدت أطمئن إلى حيوية المحتوى ودلالة كلية الخبرة، على الرغم من التقطيع الظاهري.

ج - المتقطف الثالث: "تنشيط المكثف دون إلتزام بإخراجه"

"... مترخ في غير كسل، فألمم ورقى راضيا بهذا الائتناس الصامت الذي لم تجرح بكارته شقاوة القلم وشهوة الكتابة" (7) فما أنا بالشخص الذي يحتمل ألا يختلى بنفسه وورقه أكثر من يوم....، وهأنذا أضعها أخيرا أمامى معتذرا واعدا بحوار أعرق وإنصات طيب.. وتلتقانى أوراقى- كالعادة- بسماح شديد، فهي واثقة دائما أنى لأملك منها فرارا، وأنه على عيني هجرى لها هذه الدهور (8)، فأمسح جبهتها، وأداعب أطرافها، وأنصت إلى همسها وسط هذا الصخب المتداخل، وأقول، وتقول، وأنظر، وتوافق، وأقترح، وتعارض، وأمل، وتحذر، وأبتسم، فتتذكر، وأتطلع للوجوه من حولنا، فتعلق، ويمر وقت ليس بقصير، ثم أنظر إلى المائدة فإذا الورق خال من غير سوء، (9)....

أكتفى بالنسبة لهذا المقتطف بأن ألفت النظر إلى أن الصفحة البيضاء، التي ظلت بيضاء (فعلا)، بدت لى الآن ممثلة لما أسميته "مسقطا" جيدا لحركة المستوى الداخلى (ليس البدائى) ومجالا للحوار معه وبه، هذا الذى لم أعلم عنه إلا بعد شهور وأنا جالس لكتابة هذا الفصل. ثم هأنذا أكتشف -الآن- بعد هذا التنظير والمراجعة، أن هذا البياض "الإيجابى"، وذاك الائتناس الصامت، كانا وجودا حقيقيا مع ماهو داخلىّ ومُنشَط، وأن هذا العجز (كما يبدو للوهلة الأولى) كان استكفاء وليس إعاقة، (بما يقابل عرقلة التفكير فى حالة الذهاني). ثم أتبين معنى هادئا لما هو تنشيط صامت حين أضبط هذا التعبير "مترخ فى غير كسل"، إذ يبدو أن معايشة الخبرة الداخلية قد تكون مرضية فى حد ذاتها لدرجة قد تجاوز أى حاجة إلى نقلها إلى ناتج خارجى مسجل، بل إنه قد بدا لى (من واقع النص) فى هذه المراجعة، أن هذا المستوى من التنشيط الداخلى المكتفى بهذه الجرعة من المرونة والسماح والحوار الصامت (الواضح)-أن مثل هذا لا يحتاج إلى نقله إلى القلم أصلا، بل إن نقله إلى القلم فالورق هو-من بُعدٍ خاص- ضد تكامله الداخلى بشكل أو بآخر (لاحظ تعبير: لم تجرح بكارته شقاوة القلم وشهوة الكتابة).

فما أنا بالشخص الذى يحتمل
ألا يختلى بنفسه وورقه أكثر
من يوم

أن الصفحة البيضاء، التي
ظلت بيضاء (فعلا)، بدت لى
الآن ممثلة لما أسميته
"مسقطا" جيدا لحركة
المستوى الداخلى (ليس
البدائى) ومجالا للحوار معه
وبه.

كانا وجودا حقيقيا مع ماهو
داخلىّ ومُنشَط، وأن هذا
العجز (كما يبدو للوهلة
الأولى) كان استكفاء وليس
إعاقة، (بما يقابل عرقلة
التفكير فى حالة الذهاني).

- [1] يحيى الرخاوى: المقتطف من مقال "جدلية الجنون

والإبداع" مجلة فصول- المجلد السادس - العدد الرابع 1986
ص (30 - 58) وقد ظهر فى كتاب "حركية الوجود وتجليات
الإبداع" (ص 165 إلى 167) وقد تم تحديثه دون مساس بجوهره
(الطبعة الأولى 2007) المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة،
والكتاب يوجد فى الطبعة الورقية بمكتبة الأنجلو المصرية، وفى
منفذ مستشفى دار المقطم للصححة النفسية شارع 10، وفى مركز
الرخاوى للتدريب والبحوث: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة
المقطم، كما يوجد أيضا حاليا بموقع المؤلف، وهذا هو
الرابط www.rakhawy.net

- [2] يحيى الرخاوى: نشر هذا العمل (الناس والطريق) فى
تسعة فصول فى مجلة الإنسان والتطور، من أكتوبر 1984 حتى
أكتوبر 1986، المجلدات: الخامس (عدد 4)، والسادس (أعداد 1-4)،
والسابع (أعداد 1-4)، كما أنه تم نشره بعد ذلك فى
ثلاثة أجزاء باسم "ترحالات" (2002) القاهرة.

- [3] إشارة إلى الكلمة التي نختها بالعربية لوصف اصل
الفكرة وهي "مكد" أي "المذكر الكلي الداخلي Endcept"
كما وصفه سيلفانو أريتي في كتابه: "الإبداع: ذلك السحر
الولافي Creativity: the magic synthesis"

Silvano Arieti: Tertiary processes (1976),
New York, Creativity: The Magic Synthesis. Basic Books
York

- [4] الناس والطريق-الإنسان والتطور، المجلد السادس،
العدد الثاني، ص 113، 114.

- [5] نفسه، المجلد السابع، العدد الأول، ص 113، 114.

- [6] نفسه، ص 140.

- [7] نفسه، المجلد السادس، العدد الثاني، ص 103.

ملحوظة: كتبت فيما بعد قصة قصيرة "البياض والطارق"
نشرت في مجموعة "هيا بنا نلعب يا جدى سويا مثل أمس"
(2000) مركز المحروسة- القاهرة. تفيد نفس المعنى تقريبا.

- [8] يومان.

يبدو أن معايشة الخبرة
الداخلية قد تكون مرضية
في حد ذاتها لدرجة قد
تجاوز أي حاجة إلى نقلها
إلى ناتج خارجي مسجل

إرتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD171118.pdf

*** **

مؤسسة العلوم النفسية العربية إصدارات

*** **

نشرة " الرسالة الإخبارية الأسبوعية "

العدد 90-91 (الجمعة 06 نوفمبر 2018)

<http://www.arabpsynet.com/Weekly/NL90-91/NewsL09-91-061118.pdf>

<https://www.facebook.com/ApnWeeklyNewsletter/>

سلسلة الكتاب العربي " نفساني " (إصدارات مختبئة محكمة في علوم وطب النفس)

59 (خريف 2018) الإصدار

الموجز العربي للصرح للتميمي

أ.د. سجاد جواد التميمي

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=16&controller=category&id_lang=3

<https://www.facebook.com/NafssanyBook/>

مجلة " بصائر نفسانية " (المستجدات العربية في علوم وطب النفس)

العدد 21-22 (صيف- خريف 2018)

"علم النفس الإيجابي و النشاط البدني الترويبي"

- اشرفه على الملء: أ.د. مرعي سلامة يونس (مصر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=25&controller=category&id_lang=3

www.facebook.com/BassaaerNafssania-Magazine-259758497705299/